الدرة اليتيمة

من

حكيم الكاتب البليغ الاشهر

عبد الله بن المقفع

الطبعة الخامسة بنفقة كمال عاصم

مطبعة الرغائب

بمصر باول شارع درب الجماميز

سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م

كلمة

الى الناشئة الفاضلة

اليكم اخواني الناشئة الفاضلة كلمة من صغير بلغ الثالثة عشر ربيعاً من العمر فتح عينيه فرأى الحرب القائمة على ساق وقدم بين جيش الفضيلة والرذيلة حتى ظفرت الثانية بالاولى او كادت الامر الذي حدى بكتاب العصر وفضلائه ان يجردوا اقلامهم « اقلام الحكمة » سيوفاً بواتر لنصر الفضيلة وهم رجالها فتفننوا وقد اتو بكل اسلوب عجيب اشهاراً للفضيلة ومباديها النبيله وتشهيراً بالرذيلة وسحقاً لمهاويها الوبيلة فاحببت مجاراة هؤلاء الفرسان وان لم يكن لي فرس ولا قدرة على الجولان الا ان هي النفس الهائمة لم يقف غلاياتها

الا بذلك وعليه فقد اخترت ما كان اختاره سلالة الامراء الامائل « الامير شكيب ارسلان » وهو كتاب الدرة اليتيمة للكاتب البليغ عبدالله ابن المقفع متمثلا بقول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

هذا واني اعد اخواني الشبيبة الراقيه بمواصلة طبع وتقديم ما تصل اليه يد البحث والتنقيب ويقع عليه الاختيار بعد الاختبار من الرسائل النادرة الناشرة لاعلام الفضيلة ومكارم الاخلاق واملي كبير بموازرتهم وتعميم هذا المبدأ القويم : والله حسبي ونعم الوكيل

ملتزم الطبع

كمال عاصم

مقدمة

بقلم سعادة الامير شكيب ارسلان

ابدأ بحمد الله المنشئ البديع على مزيد نواله واشفع بالصلاة على رسول الله السيد الشفيع وعلى صحبه وآله

وبعد فقد رأينا اخواننا طلاب التربية اعظم ما كانوا عليها منذ امد اقبالا واشد ما عانوا في تحري فوائدها ايجافاً وايغالا واحث ما وجدناهم في سبيلها اجتهاداً وابصر ما عهدناهم في مظان تحصيلها ارتيادا رأينا الجم الغفير منهم والحق يقال دأباً في اصلاح لغته وتثقيف ملكته حريصاً على تقويم لسانه وإحكام بيانه متوخياً طرق الانطباع على بليغ الكلام منهجاً خطط الوصول الى الطبقة العالية من القول مما يجب ان يلتمس في كتب السلف وينشد في منشآت الاولين من اهل هذا اللسان السابقين في حلبة البيان بالاستكثار من حفظ تراكيبهم وتحدي أساليبهم ومحاكاة نغمتهم والاحتذاء على

أمثلتهم حتى تحصل المعاني منهم ملكة راسخة يصدر عنها في انشائه فلا يكون من شأنه ان يعلو ويسفل ويغلو ويبذل ولكنه يجرى على نمط متناسب ويفرغ فى قالب واحد وكانت هذه الغاية وتلك العناية بصناعة الانشاء عموماً وبهذا النوع المرسل منه خصوصاً اجدر ما تصرف نحوه الهمة وافضل ما تثنى اليه الازمة لا سيما فى هذا العصر الذي ازدحمت فيه المعاني وتعددت النواحي وتضاعفت المقاصد واختلفت المواضيع وتوسع فيه من أمكنة القول ما كان من قبل حرجا واوجد فيه ما لم يكن موجوداً وأخرج ما لم يكن مخرجاً وهو الذي اشتبكت فيه الوسائل وأثت العلائق وتطالعت العقول وتكاشفت الالباب وتشارفت المعارف المتباينة وتشاركت المدارك المتنابذة حتى كأن الامم أمة واحدة وكأن الامة فرد واحد فى تناول البعيد وتقييد الشارد والاحاطة بالمجهول فتداعت من أجل ذلك المعاني من كل جانب كالسيل المتدفق والعارض المغدق على رؤوس الكتاب لا تجد منصرفاً الا من صنابير الاقلام وأنابيب اليراع وقد كان مكان الانشاء كما كان على

أدائه من العناية حقه وتوفيره من المزاولة قسطه والزمان على غير هذا الوضع ونطاق العلوم أضيق ومقاصد الكلام ولا ريب في كثير أقل ومواطن التعبير تكاد تكون محصورة في جم من المواضيع فكيف بالكاتبين والمعربين من أهل هذه الايام وقد لزمهم من أدوات الكتابة بعض ما لم يلزم غيرهم واعترضهم كثير من عقباتها التي لم تعترض من قبلهم ومست بهم الحاجة الى استغراق سيل هذه المعاني بمادة غزيرة وعدة متينة من الالفاظ على نسق محمود من التراكيب فان المعاني اذا كثرت على الالفاظ ضاق دونها ذرع الكتبة فذهبوا في ابرازها الى الخلق وعرضها على الاذهان مذاهب الضعف ومسالك السخف فأفسدوا لغتهم واعجموا منطقهم واذا كثرت الالفاظ على المعاني بين قوم سادت بينهم الصناعة اللفظية ولهي المشتغلون بنوع من الحفظ لم يقصد لذاته فكان العي والحصر أحسن منه فكانت البغية كل البغية في تناسب القوتين وتعادل المنتين وتضارع المادتين حتى يتوفر لكل معنى نديده من اللفظ ويتسنى بازاء كل مغزى ضريبه من السبك ويودع كل خاطر

قابله الاليق ويلبس كل فكر ثوبه الالبق وهي غايةمن أبعد البعيد وعقبة عنود لدى التصعيد ولكنها رأس النصح في خدمة اللغة واول الواجب في حق اللسان وانما يتذرع الى تسهيلها وتمهيد طرق تحصيلها بادمان النظر وادامة السهر في التطبع على بلاغة الاولين وتقليد مناهج السالفين وكذلك كان أسنى ما تخدم به هذه اللغة الشريفة لهذا العهد اثارة دفائن كنوزها ونفض كنائن رموزها واستخراج جواهرها التي أحرز منها النزر اليسير وبقي الجم الكثير وانه لو لم يكن بين أيدينا وايم الله كلامه القديم وحديث رسوله عليه التحية والتسليم وانهما بهذا اللسان لحكمنا بان هذه العربية لم تزل بكراً لم تفترع وسراً لم يخترع لقلة ماوصل الى أيدي طلابها من نفائسها وكثرة ما احتجب عن أعين خطابها من عرائسها فان أكثر مشاهير الكتاب ومصاقع الخطباء من أهل المئات الاول بعد الهجرة لم تظفر الايدي بكلامهم الا قليلا منه منثوراً في بعض التآليف والمجاميع متفرقاً منقطعاً بعضه عن بعض مع انهم العمدة في هذه الغاية والقدوة في هذا السبيل والناس في الادب انما تلتقط

من فضلا تهذيبهم وتترشف من آثار مشاربهم ولذلك جعلت
من بعض همي مع علم اتساع البال ونصب النفس لهذه
الاشغال التنقيب عن بعض آثار القوم اهل هذا الشأو البعيد
والشأن الخطير حتى ظفرت وأنا في هذه الايام بدار الخلافة
العظمى بجملة من الكتب منها هذه الدرة اليتيمة لعبد الله بن
المقفع المذعي المشهور معرب كتاب كليلة ودمنة فاخترت عموم
الفائدة بطبعها لانها مع صغر حجمها قد جمعت بين أعلا طبقات
البلاغة وأسمى درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ
والحجج الدوامغ ما لم يتضمنه كتاب قبلها ولا بعدها فكانت
حرية بان يتخذها الكتاب منتجعا له وحماطة قلبه وان يجعلها
دستور انشائه ومثال احتذائه وحقيقة بان يتخذها الانسان
نصب ناظره وشغل خاطره يهتدي بنور حكمها في ظلم المعاضل
ومدلهمات المشاكل ويتدرب بها وفحصه من سبل التصرف الحكيمة
ومهجته من جواد الكمل القويمة على امتزاج لحكمها بقواعد
الكون ودخولها تحت طور الطوق وما انا محدث عن ابن
المقفع وهو رب هذا الامر وواسطة هذا العقد وفي شهرته

ما يغني عن الافاضة والاشارة وفى الاطلاع على هذه الرسالة ما يكفى الشاهد مؤونة الشهادة ولعمري لو استفرغ مجتهد وسعه فى اهداء أرباب الاقلام طرفة تعجبهم فقصاراه نشر كلام مثل ابن المقفع اذ لا يجد فى هذا الباب اجزل لهم نغماً ولا أسنى لديهم وقعاً ولذلك كان لا شبهة عندي فى ان ما توخيته من الفائدة يلاقى أقبال الطلاب ويقتضي ثناءهم بحسن الانتخاب فقد يكون من فضل المرء فى حسن انتقائه ما يربو على فضله فى حسن انشائه اذ كان من الاختيار ما هو أنطق بالفضل وأدل على العقل على حد قول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

﴿ ترجمة ابن المقفع ﴾

هذا ما اخترنا تلخيصه عن وفيات الاعيان فى امر صاحب هذه الرسالة فهو عبد الله ابن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة وهو من أهل فارس وكان مجوسياً فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور العباسيين ثم

كتب له واختص به ومن كلامه (شربت الخطب رياً ولم أضبط لها رويا فقاضت فلا هي نظاماً وليست غيرها كلاماً)
قال الهيثم بن عدي جاء ابن المقفع الى عيسى بن على فقال له قد دخل الاسلام فى قلبي وأريد ان أسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام موسى عشية فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم (١) على عادة المجوس فقال له اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال كرهت ان أبيت على غير دين فلما اصبح اسلم على يده وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكى الجاحظ ان ابن المقفع ومطيع ابن اياس ويحيى ابن زياد كانوا يتهمون فى دينهم قال بعضهم كيف نسيء الجاحظ نفسه وقال الاصمعى قيل لابن المقفع من أدبك قال نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتيته وان رأيت قبيحاً ابيته واجتمع ابن المقفع بالخليل

---

(١) الزمزمة تراطن العلوج على اكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ولكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض (القاموس)

بن احمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيته قال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال عقله اكثر من علمه ويقال ان ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليله ودمنه وقيل انه لم يضعه وانما كان بالفارسية فنقله الى العربية وان الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه وقال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيراً من المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها هذا وكان ابن المقفع يعيب بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أمير البصرة وينال من عرضه وكثر ذلك منه وذكر الهيثم بن عدي انه كان يستخف بسفيان كثيراً وكان انف سفيان كبيراً فكان دخل عليه فقال السلام عليكما يعني نفسه وانفه وقال له يوماً ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة يسخر به وقال سفيان يوماً ما ندمت على سكوت قط فقال ابن المقفع الخرس زين لك فكيف تندم عليه فكان سفيان هذا شديد الحنق عليه يترقب فرصة لقتله وكان عبد الله بن علي العباسي قد خرج علي ابن اخيه المنصور فارسل اليه المنصور جيشاً مقدمه ابو

مسلم الخراسانى فانتصر عليه وهرب عبد الله بن على الى اخويه سليمان وعيسى فاستتر عندهما فتوسطا له عند المنصور فقبل شفاعتهما فيه واتفقوا على ان يكتب له اماناً وهذه الواقعة مشهورة فى التواريخ فلما ان أتيا البصرة قالا لعبد الله بن المقفع اكتب انت وبالغ فى التأكيد كيلا يقتله المنصور فكتب ابن المقفع الامان وشدد فيه حتى قال فى جملة فصوله ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنساؤه طوالق ودوابه حبس (١) وعبيده أحرار والمسلمون فى حل من بيعته وكان ابن المقفع يتنوع فى الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه وقال من كتب هذا فقالوا رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب لاعمامك فكتب الى سفيان متولى البصرة المتقدم ذكره يامره بقتله وكان صدر سفيان موغراً منه فقتله شر قتله واختلفت الروايات فى كيفية قتله فقيل انه أمر بتنور فسجر (٢) ثم امر به فقطعت أطرافه عضواً عضواً وهو يلقيها فى التنور وهو ينظر حتى أتى على جميع جسده وقيل القاه فى بئر

---

(١) محبسة عن الرعى (٢) سجر التنور ملاه وقوداً

لخرج وردم عليه الحجارة وقيل بل أدخله حماماً وأغلق عليه
الباب فاختنق وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار
سفيان سليما ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور واحضراه اليه
مقيداً وحضر الشهود الذين شهدوا وقد دخل داره ولم يخرج
وأقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور انا انظر في هذا
الامر ثم قال أرأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من
هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني فاعلا بكم
افقتلكم بسفيان فرجعوا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى
وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضى المنصور ويقال
انه عاش سبعاً وثلاثين سنة وكان قتله سنة اثنتين واربعين ومئة
وقيل سنة خمس واربعين وقيل ان سليمان بن علي العباسي توفي
سنة اثنتين وأربعين وعلى هذا تكون الرواية الاولى هي
الصحيحة ولابن المقفع شعر مذكور في كتاب الحماسة والمقفع
بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها واسمه داذويه وكان
الحجاج ولاه خراج فارس فمد يده الى الاموال فمذبه فقنعت
يداه فسمي بذلك وقيل بل ولاه خالد بن عبد الله القسري

وعذبه يوسف بن عبد الله بن عمر الثقفي لما تولى العراق بعد خالد وقال ابن مكي في كتاب تثقيف اللسان ويقولون ابن المقفع والصواب بكسر القاف لانه كان يعمل القفاع ويبيعها والقفاع بكسر القاف جمع قفعة بفتح القاف شيء يعمل من الخوص شبيه بالزنبيل لكنه بغير عروة والقول الاول هو المشهور بين العلماء (انتهى بتصرف)

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين
قال عبد الله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساداً
واوفر مع اجسادهم احلاماً وأشد قوة واحسن بقوتهم للامور
اتقاناً واطول اعماراً وأفضل باعمارهم للاشياء اختباراً فكان
صاحب الدين منهم ابلغ فى امر الدين علما وعملا من صاحب
الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل
ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتى اشركونا
معهم فيما أدركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب
الباقية وكفونا به مؤونة التجارب والفطن وبلغ من اهتمامهم
بذلك ان الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم والكلمة
من الصواب وهو بالبلد غير المأهول فيكتبه على الصخور مبادرة

منه للاجل وكراهية لان يستدل ذلك على من بعده (١) فكان صنيعهم فى ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذي يجمع لهم الاموال والنقد (٢) ارادة ان لا تكون عليهم مؤونة فى الطلب وخشية عجزهم ان هم طلبوا فنتهى علم علمنا فى هذا الزمان ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر فى كتبهم فيكون كأنه اياهم يحاور وسنهم يستمع غير ان الذي نجدفى كتبهم هو المتحل فى آرائهم والمتنق من احاديثهم ولم نجدهم غادروا شيئاً نجد واصف بليغ فى صفة له مقالا لم يسبقوه اليه لا في تعظيم لله عز وجل وترغيب فيما عنده ولا في تصغير للدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامها وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذهم ولا في وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبق في جليل من الامر لقائل بعدهم مقال وقد بقيت أشياء من لطائف الامور فيها مواضع

---

(١) اى يفوته (٢) جمع عقدة وهى العقار الذى اعتقده صاحبه ملكا

لصغار القطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعض ما انا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

ياطالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع اضاعة الاصول فلا يكون دركهم(١) دركا ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول وان اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل

فأصل الامر فى الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدى الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم انه ان حرمه هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه في الدين والعبادة فهو افضل واكمل* واصل الامر في اصلاح الجسد الا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه الا خفافاً وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو افضل* وأصل الامر

(١) الدرك والدرك اللحاق والوصول الى الشئ ولا يستعمل منه فعل ثلاثى

في اليأس الا تحدث نفسك بالادبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون أول حامل وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو افضل * واصل الامر في الجود الا تخسن بالحقوق عن اهلها ثم ان قدرت ان تزيد ذا الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل « واصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو افضل » واصل الامر في المعيشه ان لا تني عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد وما تنفق ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطرا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفه والامور الغامضه التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولا لتروض

نفسك على محاسنها قبل ان تجرى على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في شبيبته المساوى وقد يغلب عليه مايبدر اليه منها

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعلم ان من العجب ان يبتلي الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته وانما الرأى له والحق عليه ان يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه فاذا تقلدت شيئاً من الاعمال فكن فيه احد رجلين اما رجلا مغتبطاً به فحافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلا كارهاً فالكاره عامل في سخرة اما للملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره واياك اذا كنت والياً ان يكون من شأنك حب المدح والتزكيه وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم يتقحمون عليك منها وباباً يفتتحونك منه وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منها

اعلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له محمود والقابل له معيب . لتكن حاجتك في الولايه الى ثلاث خصال رضى ربك

ورضى سلطانك ان كان فوقك ورضى صالح من تلي عليه وما عليك ان تلهو عن المال والذكر فسياتيك منهما ما يكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بداً

اعرف اهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ولا يقذفن في روعك انك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فانك لست تريد الرأى للافتخار به ولكن تريده للانتفاع به ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس مالا يدرك وكيف يتفق لك رأي المختلفين وما حاجتك الى رضى من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوي العقل فانك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه

لا تمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم (١) » لتعرف رعيتك ابوابك التي لا ينال ما عندك من الخير الا بها والابواب التي لا يخافك خائف الا من قبلها احرص الحرص كله على ان تكون خبيراً بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعلمك قبل ان يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك انك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجي

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لاهل العقب والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ به سفيه او يستخف له شأن لا تتركن مباشرة جميع امرك فيعود شأنك صغيراً ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً

(١) يقال عاب له كعابه

اعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء فتفرغه للمهم وان مالك لا يغني الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق ، وان كرامتك لا تطيق العامة فتوج بها اهل الفضائل ، وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فاحسن قسمتهما بين دعتك وعملك ، واعلم انك ما شغلت من رأيك بغير المهم ازري بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضر بك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجه ازرى بك فى الحاجه

اعلم ان من الناس ناساً كثيراً يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك على السكاوح والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يستحق عقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى ان يتبرع بالامر ذى الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن اعطاه

ويكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالا من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم فى غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقله او يتخبطه المس من يعاقب فى غضبه غير من اغضبه ويجبر عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزاً فى صفته

اعلم ان الملك ثلاثة . ملك دين . وملك حزم . وملك هوى . فاما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذى يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضي فى الاقرار والتسليم . واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى . واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر

اذا كان سلطانك عند جلة دولة فرأيت امراً استقله بغير رأى واعوانا جزوا بغير ليل وعملا انجح بغير حزم فلا ينزلك ذلك فلا تستخم اليه فان الامر الجديد انما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة فى انفس آخرين فيعين قوم

بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الامر بنى على غير اركان وثيقة ولا عماد محكم اوشك ان يتداعي ويتصدع

لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فان احداهما من الكبر والاخرى من السخف اذا كنت لا تضبط أمرك ولا تصول على عدوك الا بقوم لست منهم على ثقة من رأي ولا حفاظ من نية فلا تنفعك نافعة حتي تحولهم ان استطعت الى الرأي والادب الذي بمثله تكون الثقة أو تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريدولا تغرنك قوتك بهم وانما انت فى ذلك كراكب الاسد الذي يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته . وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير مايريد . وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذراً فى تخوف الفقر وليس له ان يكون حقوداً لان خطره قد عظم عن

مجازاة كل الناس . فليتق ان يكون حلافاً واحق الناس باتقاء الايمان الملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مهانة يجدها فى نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه . واما عى بالكلام حتى يجعل الايمان له حشواً ووصلا واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله الا بعد جهد اليمين واما عبث فى القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير

لا عيب على الملك فى تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من امره وفوض ما دون ذلك الى الكفاة

كل الناس حقيق حين ينظر فى امر الناس ان يتهم نظره بعين الريبة وقلبه بعين المقت فانهما يريان الجور ويحملان على الباطل ويقبحان الحسن ويحسنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذي ما وقع فى قلبه ربا مع ما يفيض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس باجبار نفسه على العدل فى النظر والقول والفعل الوالى الذى ما قال او فعل كان امراً نافذاً غير مردود

ليعلم الوالى ان الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فاليكابد نقض قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التي يوصفون بها

ليتفقد الوالى فيما يتفقد من امور الرعية فاقة الاحرار منهم فليعمل فى سدها وطغيان السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع . لا يحسدن الوالى من دونه فانه فى ذلك اقل عذراً من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكل لا عذر له . لا يلومن الوالى على الذلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه الا لوم ادب وتقويم ولا يعدلن بالمجتهد فى رضاه البصير بما يأتي احداً فانهما اذا اجتمعا فى الوزير او الصاحب نام موالى واستراح وجلبت اليه حاجاته وان هدأ عنها وعمل فيما يهمه وان غفل . ولا يولعن الوالى بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيباً موفوراً يروح به عن قلبه ويصدر به اعماله . لا يضيعن الوالى التثبت عند ما يقول وعند ما يعطي وعندما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع

عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأنى فيه احسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبت واحوجهم اليه ماوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث

ليعلم الوالى ان الناس على رأيه الا من لا بال له منهم فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فيستكسد بذلك الجور والدناءة فى آفاق الارض

جماع (١) ما يحتاج اليه الوالى رأيان . رأي يقوي سلطانه . ورأي يزينه فى الناس . ورأي القوة احقهما بالبداية واولاهما بالاثرة . ورأى التزيين احضرهما حلاوة واكثرهما اعوانا مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فطيلك بطول الرابطة فى غير معاتبة ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تراعونا اذا رأيت احدهم يجعلك اخا فاجعله ابا ثم ان زادك فزده . اذا زلت من

(١) جماع الشيء جمعه ومنه الخمر جماع الاثم

ذي منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيرا واجلالا من غير ان يزيدك ودا ولا نصحاً وانك ترى حقاً له التوقير والاجلال وكن فى مداراته والرفق به كالمؤتنف(١) ما قباله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدل على ذى السلطان بقدمه قد اضر به قدمه . لا تعتذرن الا الى من يحب ان يجد لك عذرا ولا تستعينن الا بمن يحب ان يظفر لك بحاجتك . لا تحدثن الا من يرى حديثك مغنما ما لم يغلبك الاضطرار . اذا غرست من المعروف غرساً وانفقت عليه نفقة فلا تضنن بالنفقة فى تربية ما غرست فتذهب النفقة الاولى ضياعا . اذا اعتذر اليك معتذر فتلقه بوجه مشرق وبشر طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمه

اعلم ان اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . زينة فى الرخاء . وعدة فى الشدة . ومعونة على المعاش والمعاد فلا تفرطن فى اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم . اعلم انك

(١) ائتنف واستأنف واحد

واجد رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الابهة التي قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيرا ممن يرغب فى امثالهم فاذا رأيت احدامن اولئك قد عثر به الزمان فأقله . اذا عرفت نفسك من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن من الدعاء له فى كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما عظمه ووقره . ان استطعت ان لا تصحب من صحبت من الولاة الا على شعبة من قرابة أو مودة فافعل فان اخطأك ذلك فاعلم انك تعمل على عمل السخرة وان اسطعت ان تجعل صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروتك قبل ولايته فافعل

ان الوالى لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولى فكل الناس يلقاه بالتزين والتصنع وكلهم يحتال لان يثني عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والانذال هم اشد لذلك تصنعاً وعليه مكابرة وفيه تحلا فلا يمتنع الوالى وان كان بليغ الرأي والنظر من ان ينزل عنده كثير من الاشرار بمنزلة الاخيار وكثير من الخونة بمنزلة الامناء وكثير من الغدرة بمنزلة

الاوفياء ويغطي عليه امر كثير من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التمحل والتصنع . لا يعرفنك الولاة بالهوى فى بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية او مشاهدة فتتهم فى ذلك واذا اردت ان يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشعرنه بشيء من الهوى فان الرأي يقبله منك العدو والهوى يرده به عليك الوالد واحق من احترست من ان يظن بك خلط الرأي بالهوى الولاة فانها خديعة وخيانة وكفر . ان ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم انك قد خيرت بين خلتين ليس بينهما خيار اما ميلك مع الوالى على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالى وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب . واعلم انه لا ينبغي لك وان كان الوالى غير مرضي السيرة اذا علقت حبالك بحبله الا المحافظة عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل سبيلا . تبصر ما فى الوالى من الاخلاق التي تحب والتي تكره وما هو عليه من الرأى الذي يرضى له والذي لا يرضى ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره الى ما تحب وتكره

فان هذه رياضة صعبة تحمل على التنائى والقلى . واعلم انك قلما تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة وان لم يجمح عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه وتسبب له منه وتقويه فيه فاذا تويت منه المحاسن كانت هى التي تكفيك المساوي واذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك هو الذي يبصره الخطأ بانطف من تبصيرك واعدل من حكمك فى نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضاً ويدعو بعضه الى بعض فاذا كانت له مكانة اقتلع الخطأ فاحفظ هذا الباب واحكمه . ولا يكونن طلبك ما عند الوالى بالمسألة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له واستأن وان طالت الاناءة فانك اذا استحققته اتاك من غير طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له لا تخبرن الوالى ان لك عليه حقاً وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك وبلاءك فافعل . وليكن ما تذكره من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر ذكره اول بلائك . واعلم ان ولي الامر اذا انقطع عنه الآخر نسي الاول

وان الكثير من أولئك ارحامهم مقطوعة وحباحم معرومة الا عمن رضوا عنه وأغنى عنهم فى يومهم وساعتهم . اياك ان يقع فى قلبك تعتب على الوالى أو استزادة له فانه ان آنست ان يقع فى قلبك بدا فى وجهك ان كنت حليما وبدأ على لسانك ان كنت سفيهاً وان لم يزد ذلك على ان يظهر فى وجهك لا من الناس عندك فلا تأمنن ان يظهر ذلك للوالى فان الناس اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه هو اسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فحق ذلك حسناتك الماضية واشرف بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستدبراً وتلتمس مرضاته مستصعباً . اعلم ان اكثر الناس عدواً مجاهراً حاضراً جريئاً واشياً وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منفوس (١) عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غير انه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان من محاسديه احباء السلطان الذين يشاركونه فى المداخل والمنازل وهم وغيرهم من عدوه الذين هم حضاره وليسوا كعدو من فوقه النائي عنه المكتتم

(١) نفس عليه نفساً ونفاسة حسده

منه وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل
فاعرف هذه الحال والبس لهؤلاء القوم الذين هم اعداؤك سلاح
الصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ثم روح من
قلبك كانه لا عدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر عند ولى
الامر بسوء فى وجهك او فى غيبك فلا يرين منك الوالى ولا
غيره اختلاطاً لذلك ولا اغتياظاً ولا يقعن ذلك موقع مايكرثك
فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك اموراً مشتبهة بالريب
مذكرة لما قال فيك العائب وان اضطرك الامر فى ذلك الى
الجواب فاياك وجواب الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة
فى حلم ووقار ولا تشكن فى ان القوة والغلبة للحليم ابداً .
لا تحضرن عند الوالى كلاما لا يعني ولا يؤمر بحضوره الا
لعناية به أو يكون جواباً لشيء سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالى
شتما ولا اغلاظه اغلاظاً فان ريح العز قد تبسط اللسان بالفاظ
فى غير سخط ولا بأس . جانب المسخوط عليه والظانين به
عند الولاة ولا يجمعنك واياه مجلس ولا تظهرن له عذراً ولا
تثنين عليه خيرا عند احد من الناس فاذا رأيته قد بلغ من

الاعتاب (١) مما سخط عليه فيه ما ترجو ان يلين له الوالي واستيقنت ان الوالي قد استيقن بمباعدتك اياه وشدتك عليه فضع عذرة عند الوالي واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف ليعلم الوالي انك لا تستنكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك ان تقدم اليه القول عند بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستعفاء من الاعمال التي يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب واشباه ذلك

اذا اصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك تغيرا على احد من اهله واعوانه ولا استغناء عنهم فانك لا تدري متى ترى ادنى جفوة فتدل لهم فيها وفي تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه

ليكن مما تحكم من امرك ان لا تسار احدا من الناس ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السرار مما يخيل كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكة (٢)

---

(١) الرجوع عن الاساءة الى ما يرضي العاتب

(٢) الحقد والعداوة

ووغراً وثقلا

لا تتهاونن بارسال الكذبة عند الوالى اوغيره في الهزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تأتي به . تنكب فيما بينك وبين الوالى خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب فى ادعاء الرجل عند مايظهر من صاحبه من حسن اثر او صواب رأى انه هو عمل في ذلك واشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت ان يعرف صاحبك انك تنحله صواب رأيك (١) فضلا عن انك تدعى صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل . فان الذي انت آخذ بذلك اكثر مما انت معط باضعاف

اذا سأل الوالي غيرك فلا تكونن انت المجيب عنه فان استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤل والسائل وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قال لك المسؤول عند المسألة يعادله بها دونك فاجب . واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعم بها جماعة من عنده فلا

(١) تدعيه له

تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب الكلام مواثبة فان فى ذلك مع شين التكلف والخفة أنك اذا سبقت القوم الى الكلام صاروا لكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت اقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً واستديرت به اقاويلهم حتى تصيخ اليك الاسماع ويهدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الكلام حتى تكتفى بغيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن فى نفسك فوت ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير من سوء وضعه وأن كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مئة كلمة امثالها فى غير فرصها ومواضعها مع ان كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان ظن صاحبه ان قد اتقن واحكم

واعلم ان هذه الامور لا تنال الا برحب الذرع عند ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة او لم يظهر وسخاوة النفس عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة

والحسد والمراء

اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر هذا من نفسك وتعهد ما فيه

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم اخواناً ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم فى الكلمة يتقربون بها والعمل يوءمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وانت بمحل واما ان لا يكون ذلك عندك فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينك وما انت واجد فى موافقتك اياهم ولينك لهم من موافقتهم اياك ولينهم لك افضل مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة

ولا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك فأنا قد رأينا الناس يعرفون فضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه

فى الرأى والعلم فضل فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كاحدهم وليس بواجد فى كل حين سامعاً فهماً وقاضياً عدلاً وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأى مردود القول

اذا أصبت عند الوالى لطف منزلة لغناء يجده عندك أو هو يكون له فيك فلا تطمحن كل الطماح ولا تزينن لك نفسك المزايلة له عن اليفه وموضع ثقته وسره قبلك بان تقتلعه وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفه قد يبتلى بها الحلماء عند الدنو من ذى السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه فى نفسه أو نقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك أو ذى هيئة من السوقة اليف وانيس قد عرف روحه واطلع على قلبه فليست عليه مؤنة فى تبذل يتبذل له عنده أو رأي يستزله منه أوسر يفشيه اليه غير ان تلك الأنسة وذلك التبذل يستخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر عنه عند الانقباض والتشدد ولو التمس ملتمس مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته ومؤانسته

ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك فى الرأى ممن قد كفى مؤانسته ووقع على طباعه لان الانسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يلزق بالقلوب الا ما لان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امراً ذا مؤنة (٢) فاذا كلفتك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك أو غيرك لعله ممن يكون له فضل في المروءة أنك أولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقاته فاذكر الذى عليه من حق اليفه وثقته وانيسه فى التكرمة والذى يعينه على ذلك من الرأي أنه يجد عنده من الالف والانس ما ليس واجد عند غيره فليكن هذا مما تتحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأي لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على الدخول دون أنيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم أنه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث اما عن بلده من

---

(٢) كلفة

البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي وعند ما يعزم به الرجل من ذلك يبدو السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند اولي الامر خاصة لا تشكون الى وزراء السلطان ودخلائه ما اطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك لا تزيد على ان تفطنهم لميله وتغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه

اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انه يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي فى الناس والامور فاذا آثر ان يكره كل ما يخالفه او يمتعض من الجفوة يراها فى المجلس أو النبوة في الحاجة أو الرد للرأي أو الادناء لمن يهوى ادناءه والاقصاء لمن يكره أقصاءه فاذا وقعت فى قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتي يبدو ذلك للوالي وغيره كان ذلك لفساد منزلته سبباً فذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأى الولاة وقررها بانهم انما كانوا أولياءك لتتبعهم في آرائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك

وتغضب من خلافهم اياك

اعلم ان الملوك يقبلون من وزرائهم التبخيل ويعدونه منهم مشفقة ونظراً ويحمدونهم عليه وان كانوا اجواداً فان كنت مبخلا غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخياً لم تأمن اضرار ذلك بمنزلته عنده فالرأى لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تتركه من تبخيل صاحبك بان لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلا الى شيء من هواك ولا طلباً لغير ما ترجوان يزينه وينفعه * لا تكونن صحبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا تكتمهم سرك ولا تستطلع ما كتموه وتخفى ما اطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمى نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبت لحجتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا اساؤا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا احسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساويهم والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيداً

والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه والتخفيف عنهم لمؤنتك والاحتمال لهم كل مؤنة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالمجهود فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فاغن عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فان من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة . أنك لا تأمن أنفهم ان اعلمتهم ولا عقوبتهم ان كتمتهم ولا تأمن غضبهم ان صدقتهم ولا تأمن سلوتهم ان حدثتهم ان لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك (١) وان زايلتهم لم تأمن عقابهم . انك ان تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك تكلفت من رضاهم مالا تطيق فان كنت حافظاً ان بلوك جلداً ان قربوك أميناً ان ائتمنوك تشكرهم ولا تكافهم الشكر بصيرا باهوائهم مؤثرا لمنافعهم ذليلا ان ظلموك راضياً ان اسخطوك

(١) مللهم منك

والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر

باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد . ان سمعت من صاحبك كلاما او رأيا يعجبك فلا تنتحله تزيناً به عند الناس واكتف من التزين بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه * واعلم ان انتحالك ذلك سخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عاراً فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشي في الناس ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب اليه رايه وكلامه وتزينه مع ذلك مااستطعت . لايكونن من خلقك

ان تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كانك روأت (١) فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوه فان احتجان (٢) الحديث بعد افتتاحه سخف . اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل الصواب وانما تمام اصابة الرأى والقول باصابة الموضع فان اخطأك ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تاتى به في غير موضعه وهو لا بهاء ولا طلاوة له .لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول . ان آثرت ان تفاخر احداً ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الجد او قارب فدعه ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جداً فانك ان خالطت بالجد هزلا هجنته وان خلطت بالهزل جدا كدرته غير اني قد علمت موطناً واحدا فان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأى وظهرت على الاقران وذلك ان

---

(١) روأ فى الامر تروية وترويئاً نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب وهى الرويئة وقيل الروية بغير همز وهو الاشهر (٢) احتجنه حجره او اختزنه

يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو احد رجلين ان كان رجلا من اخوان الثقه فانفع مواطنه لك اقربها من عدوك لشر يكفيه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى . تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراة لئلا يظن اصحابك ان ما بك التطاول عليهم . اذا اقبل اليك مقبل بوده فسرك الا يدبر عنك فلا تنعم (١) الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لوم فمن شانه ان يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه * لا تكثرن ادعاء العلم في كل ما يعرض فانك من

(١) تزد

ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف(١) واما الا ينازعوك ويخلوا الامور في يديك فينكشف منك التصنع والمجرة ؛ استحى الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً او معرضاً وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آنست من نفسك فضلا فتحرج (٢) ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقدر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفين عليك أن حرص الرجل على اظهار ما عنده وقلة وقاره فى ذلك من باب البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم . ان احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد (٣) الذي لاجبار (٤) فيه ولا عثار

---

(١) تجاوز القدر فى البراعة والظرف والادعاء فوق ذلك (٢) تضيق (٣) ما استوى من الارض وفى المثل من سلك الجدد امن العثار (٤) هلاك

فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعي . فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فينفي عنك الحسد واما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار واذا رأيت رجلا يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشحاً وسوء ادب وسخفاً . ليعرف اخوانك والعامة انك ان استطعت ان تكون الى ان تفعل ما لا تقول اقرب منك الى ان تقول ما لا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عار وهجنة وفضل الفعل على القول زينة وانت حقيق فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحتجن بعض ما في نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرزاً بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلما يكون الا مقصرا

احفظ قول الحكيم الذي قال لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك أن العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس بينك وبينه قاض فانما حكمه رضاه

اجعل عامة تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلا من اخوانك وان كنت معذرا (١) نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارته على غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت

اذا نظرت في حال من ترتئيه لاخائك فان كان من اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون اخاً صادقاً لان الكذب الذي يجري على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا

(١) اعذر الرجل اذا بلغ اقصى الغاية من العذر

ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك فى صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شائع صاحبه تحرز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شيء الا وهو ريح جنة تسلب العقل وتذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع

اعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك العداوة وان تفرشك (١) لهم يكسبك صديق السوء وفسولة (٢) الاصدقاء اضر من بغض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تمى والمعاذير لا تمى (٣) البس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه العامة فلا تلقين الا متحفظاً متشددا متحرزا مستعدا ولباس انبساط واستئناس تلبسه

(١) انبساطك (٢) نذالة (٣) تمى الحديث ارتفع واتاه اذاعه على وجه النميمة

للخاصة من الثقاة فتلقاهم بينات صدرك وتفضي اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل لان ذا الرأي لا يدخل احداً من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل

اعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتع وصارفه في محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك وذا غلب عليه شيء من اشباه ما سميت لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكون الا لك ولا يستولي عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمؤاساة فتشاركه في البلية واما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة اخيك فيها فاجمل (١) فلعل الاجمال يسعك لقلته

(١) اصبروا كتم

فى الناس

اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس فى دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه

اذا كانت لك عند احد صنيعة او كان لك عليه طول فالتمس احياء ذلك بامانته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرن فى قلة المن على ان تقول لا اذكره ولا اصغى بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون فى مجالستك اياه وما تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف . احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبة الا بالجهاد وان قلة الاعداد لموافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوء غريزة وانما التفاضل بين الناس فى مغالبة طبائع السوء فأما ان يسلم احد من ان

تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا ان الرجل القوي اذا كابرها بالقمع لها كلها كلما تطلعت لم يلبث ان يمينها حتى كانها ليست فيه وهي فى ذلك كامنة كمون النار فى العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة او غفلة استورت كما تستوري عند القدح ثم لا يبدأ ضرها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التي كانت فيه

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك ما لا يكاد يخطبك فان الصبر صبران صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه اكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطراً واعلم ان اللئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشى اويده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوباً وللامور محتملا وفي الضر متجملا ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهوى تاركا وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات

مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك . واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل واقتنى العلمين وأحداهما ان ينشطاله صاحبه من غير ان يحرض عليه علم المنافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلاؤها فضيلة منزلة عند اهل الفضل فى الالباب * عود نفسك السخاء واعلم انهما سخا آن سخاوة نفس الرجل بما فى يديه وسخاوته عما فى ايدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما فى يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في ايدي الناس امحض فى التكرم وانزه من الدنس فان هو جمعهما فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تكون حسوداً فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يوكل بالادني فالادنى من الاقارب والاكفاء الخلطاء فليكن ما تقابل به من الحسد أن تعلم أن خيرما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غنما لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل

منك فى العلم فتقابس من علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في المال فتفيد(١) من ماله وافضل منك فى الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وافضل منك فى الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه . ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تخبر عدوك انك له عدو فتنذره نفسك وتوئذنه (٢) بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك

اعلم ان اعظم خطرك ان ترى عدوك انك لا تتخذه عدواً فان ذلك غرة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت قدرت فاستطعت اغتفاراً لعداوته عن ان تكافئ بها فهنالك استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئاً بالعداوة والضرر فاياك ان تكافئ عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار . واعلم مع ذلك انه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله كالخيانة لا تكافأ بالخيانة

---

(١) افاد مثل استفاد (٢) اذن بالشيء علم ومنه في التنزيل فاذنوا بحرب من الله ورسوله

والسرقة لا تكافأ بالسرقة ومن الحيلة فى امرك مع عدوك ان
ان تصادق اصدقاءه وتوأخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم فى
سبيل الشقاق والتجافى فانه ليس رجل ذو طرق (١) يمتنع من
مؤاخاتك اذا التمست ذلك منه وان كان اخوان عدوك غير
ذوي طرق فلاعدولك * لاتدع مع السكوت عن شتم عدوك
اخصاء معايبه ومثالبه واتباع عوراته حتي لايشذ عنك من
ذلك صغير ولا كبير من غيران تشيع عليه فيتقيك به ويستعد
له او تذكره فى غير موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله
قبل امكان الرمي * لاتتخذن اللعن والشتم على عدوك سلاحاً
فانه لا يجرح فى نفس ولا فى مال ولا دين ولا منزلة * ان
اردت ان تكون داهياً فلاتحبن ان تسمى داهياً فانه من عرف
بالدهاء خاتل علانية وحذره الناس حتى يمتنع منه الضعيف
وان من ارب الاريب دفن اربه ما استطاع حتى يعرف
بالمسامحة فى الخليقة والطريقة ومن أربه ألا يؤارب العاقل
المستقيم له الذي يطلع على غامض اربه فيمقته عليه

(١) اى صاحب مداخلات كما يقال فى هذه الايام

ان اردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجرئهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فاشعب لمداراة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفة رأيك . وان ابتليت بمجازاة عدو مخانف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر في امرك والجراءة في قلبك حتى تملا قلبك جراءة ويستفرغ عملك الحذر

ان عدوك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز انصارك في الغلبة ان تحصي على نفسك العيوب والعورات كلما احصيتها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله او مشاكله فان كنت قارفت منه شيئاً فأحصه فيما تحصي على نفسك حتى اذا احصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك واحرار مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسياً مصبحاً فاذا

آنست منها دفعاً لذلك او تهاوناً به فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً جانياً معوراً (١) لعدوك ممكناً له من رميك وان حصل من عيوبك بعض ما لا تقدر على اصلاحه من امر قد مضى يعيبك عند الناس ولا تراه انت عيباً فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل من حسبك او مثالب اباءك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك كله نصب عينيك واعلم ان عدوك مريدك بذلك فلا تغفل عن التهيوء له والاعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سرا وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدن له ولا تشتغلن به فانه لا يهولك ما لم يقع واذا وقع اضمحل

اعلم انه قلما بده (٢) احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعيره به معير عند السلطان او غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو منه عند ذلك والذي يكون من انكساره وفتوره عند تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها

---

(١) من اعور الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للضرب

(٢) فوجيء

واعلم ان من اوقع الامور فى الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها فى ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم (١) ماعنده وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن وانما النساء اشباه وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما المترغب عما فى رحله منهن الى ما فى رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما فى بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء . ومن العجب ان الرجل الذي لاباس فى لبه يرى المرأة من بعيد متلفعة في ثيابها فيصور لها فى قلبه الحسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح وادم الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا يزال مشغوفاً بما لم يذق حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة

(١) اجم الطعام وغيره كرهه وملله

واحدة لظن ان لها شأناً غير شأن ما ذاق وهذا هو الحمق والشقاء ومن لم يحم نفسه ويظلفها (١) ويجذبها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ايسر ما يصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا مخادعاً لنفسه في امر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي امر مروءته عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند الريبة والشبهة والطمع

ان استطعت ان تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيت ما لم تزين هو الجمال

لا يعجبنك العالم ما لم يكن عالماً بمواضع ما يعلم . إن غلبت على الكلام وقتاً فلا تغلبن على السكوت فانه لعله يكون

---

(١) ظلف نفسه عن الشيء منعها عن ان تاتيه قال الشاعر

لقد اظلف النفس عن مطعم اذا ما تهافت ذبانه

المراء واعرفه ولا تمنعك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة

واعلم ان المماري هو الذي لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فان زعم زاعم انه انما يجادل فى الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجه ظاهر البينة فانه يخاصم الى غير قاض وانما قاضيه الذي لا يعدو بالخصومة الا اليه عدل صاحبه وعقله فان آنس او رجا من صاحبه عدلا يقضي به على نفسه فقد اصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان مماريا

ان استطعت الا تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا وانت محتجن عنه بعض ذلك التماساً لتفضل الفعل على القول واستعداداً لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان احكام هذه الخلة من غرائب الخلال

اذا تراكمت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح (١) فى مدافعتها بالروغان (٢) منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها وان الصبر عليها هو يختفها وان الضجر منها هو يراكمها عليك

---

(١) الاستراحة (٢) راغ روغاً وروغاناً حاد

فتعهد من ذلك فى نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض اصحاب الاعمال ان الرجل يكون فى امر من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدر ذلك بنفسه تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتي لا يحكم واحداً منهما فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به من الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا يعظمن عليك فوت مافات وتاخير ما تأخر اذا اعملت الرأي معمله وجعلت شغلك فى حقه

اجعل لنفسك فى كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية فى العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها فى حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها فى تكلف رضى الناس والخفة معهم فى حاجاتهم كنت المصنع المحشود(١)

اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان عي وبعض العلم

---

(١) فى لسان العرب اصنع الرجل اذا اعان اخرق واما المحشود فهو الرجل المحفوف بالجماعات يقال محفود محشود والمعنى ظاهر من العبارة

جهل فان استطعت ان لايكون عطاؤك جوراً ولا يانك هذراً ولا علمك جهلا فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اماملهية واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقاً بان تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجب لغيرك واذا نشرت ذلك مرة اومرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك فازدجر عن العود فان العجب من غير عجيب سخف شديد وقد رأينامن الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود

اياك والاخبار الرائعة وتحفظك منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لاسيما ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق ومزراة بالرأي فان استطعت الا تخبر بشيء الا وأنت به مصدق وألا يكون تصديقك الا ببرهان فافعل

ولا تقل كما يقول السفهاء اخبر بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع وان السفهاء اكثر من هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعياً وحاملا كان ما تعي وتحمل عن العامة اكثر مما يخترع المخترع باضعاف

انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتسخر عما اعتاص (١) مما قبله غير معاتب ولا مستبطيء ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضى بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل ما تتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمروءة

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكانك قد رضيت ماتى به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تدمه وتمتثله (٢) فليس ذلك

(١) شق وصعب (٢) تتبع طريقته

لك * لاتصاحبن احداً وان استأنست به اخا قرابة او اخا مودة ولا والداً ولا ولداً الا بمروة فان كثيراً من اهل المروة قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يصحبوا كثيراً من الخلعاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروة ووقارها احدث له فى قلبه رقة شأن وخفة منزلة

لاتلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأي ولا تجترئن على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي فى ذلك على ان يتعقبوا الكلمة بعد ماتنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف فى العقل ولؤم فى الاخلاق

لا يعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالا ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها فى الدين والدنيا ولكن اذا أكرمت على دين اومروءة فذلك فليعجبك فان المروءة لاتزايلك فى الدنيا والدين لايزايلك فى الآخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت امن قتل في القتال مقبلا اكثر ممن قتل مدبرا وانظر امن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو اليه نفسك بطبانته امن يطلب اليك بالشره

اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بك في مواطن المحاماة لم يحفل ماتركت مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك الا تذكره الا حيث يضره وألا تعد يسير الضر ضراً

اعلم ان الرجل قد يكون حليما فيحمله الحرص على ان يقال جليد والمخافة ان يقال مهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتاً فيحمله الحرص على ان يقال لسن والمخافة من ان يقال عي على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرا فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله

اذا بدهك امران لا تدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى

ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك

لاتجالس امرءا بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعي بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتوذي جليسك تحملك عليه ثقل ما لا يعرف وغمك اياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عاوده ونصبوا (١) له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى أن كثيرا من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به

ليعلم صاحبك انك حدب (٢) على صاحبه واياك ان عاشرك

---

(١) نصب فلان لفلان اذا قصد له وعاداه وتجرد له

(٢) مشفق

امروء ورافقك ان لا يري منك باحد من اصحابه واخدانه رأفة فان ذلك يأخذ من القلوب مأخذا وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعاً من لطفك به بنفسه

اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على التطلق ويشكر للمكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيمتعض من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في قلبه ذلك القول لخطأ تخاف ان يعقد (١) عليه اومضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة

واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتاً فان الصمت يدعوها اليك وناطقاً بالحسنى فان

(١) يبني

المنطق الحسن يزيد فى ود الصديق ويسهل سخيمة (١) الوغر

واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد(٢) من دواعي المودة اذا لم يخالط ذلك بأو ولا عجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول

واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غرر (٣) لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيى الحزمة ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعذلا تقول انت فعلت هذا بي وانت امرتني ولو لا

---

(١) السخيمة الحقد والموجدة في النفس والوغر من الوغر وهو الاحتراق من الغيظ (٢) القصد استقامة الطريق ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل (٣) خطر

انت ولا جرم لا اطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت انت المشير فعمل برأيك او ترك فبداصوابك فلا تمتن ولا تكثرن ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرراً تقول الم اقل لك الم افعل فان هذا مجانب لادب الحكماء

اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجن (١) صواب ما تأتي به ويذهب بهجته ويزريبه بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يفضي اليك بذات نفسه ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التي انت جدير بتركها اذاحدث الرجل حديثاً تعرفه الا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتي كانك تظهر للناس بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك ان تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من ابواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة

واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول

---

(١) يعيب القول

عليهم في البلاغة او الفصاحة

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء يدعو اليك ماتتقي ان رأيت نفسك تصاغرت الدنيا اودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجراء واستخذاء (١) ونغير نفس عند ما اعجزك من الدنيا وغضب منك عليها مما التوى عليك منها ولو تمت على رفضها وامسكت عن طلبها اوشكت ان ترى من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول باضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها

اعرف عورتك واياك ان تعرض باحد فيما شاركها واذا ذكرت من احد خليقته فلا تباضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولا تلح كل الالحاح ولكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب واذا كنت في جماعة قوم ابداً فلا تعمن جيلا من الناس او امة بشتم ولا ذم فانك

(١) استرخاء

لاتدري لعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم

ولا تذمن مع ذلك اسماً من اسماء الرجال والنساء بان تقول ان هذا القبيح من الاسماء فانك لاتدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك في بعض اسماء الاهلين والحرم ولا تستصغرن من هذا شيئاً فانه يجرح في انقلاب، وجرح اللسان اشد من جرح اليد

اعلم ان الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم وكل ذلك ابين عند سامعيه من وضح الصبح فلا تكونن من ذلك في غرور ولا تجعلن نفسك من اهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف له رأياً ولا بدلا وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذ القائلين

عادياً وكان لا يدخل في دعوي ولا يشرك في مراء ولا يدلي بحجة حتي يجد قاضياً عدلا وشهوداً عدولا وكان لا يلوم احداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعاً الى من يرجو عند البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة لها جميعاً وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يشكى ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحياته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن

اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

كان يرى متضاعفاً مستضعفاً فاذا جاء الجد فهو الليث